

دراسة التشبيه ونماذجه من القرآن الكريم

* الحافظ عبدالرحيم

** قرّة العين علي

Abstract

The research paper has dealt with it regarding Simile (Tashbeeh) with reference.

The Simile (Tashbeh) e.i a rhetoric phenomenon is a figure of speech which signifies that the thing has co-relation in meanings. It is a very vital part of rhetoric. It provides ease for the person who want to adopt the way of signs and symbols. Because it gives birth to metaphor and symbolism. Simile (Tashbeeh) is type expression which is given a significant role in rhetoric. It deals with the aspects of The Simile (Tashbeh) in the Holy Quran. The Qur'an exhibits an unparalleled frequency of rhetorical features. The use of Simile in the Quran stands out from any type of discourse.

A close up analysis of the Quran can highlight a wide range and frequency of Simile features. This is a comprehensive subject that requires further analysis, however to highlight the Qur'an's uniqueness some references and models have been given from the Qur'an employs more Simile features than any other text written in past or present.

دراسة موجزة عن البلاغة

البلاغة فنّ من الفنون يعتمدُ على صفاء الاستعداد الفطري و دقّة إدراك الجمال. و تبيّن الفروق الخفية بين صنوف الأساليب. و للمرانة يدّ لا نجدُ في تكون الذوق الفنّي، و تنشيط المواهب الفاترة.

عناصر البلاغة لفظٌ و معنىٌ و تأليفٌ للألفاظ يَمْنَحُهَا قُوّة و تأثيراً و حُسناً.

وأما علوم البلاغة فقد صرّح بها العلماء العربية على ثلاثة أنواع:

(1) علم المعاني (2) علم البيان (3) علم البديع (1)

* رئيس قسم اللغة العربية، جامعة بهاء الدين زكريا ملتان

** باحث مترجم

علم المعاني:

و هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي الذي بها يطابق مقتضى الحال. (2)

علم المعاني أصول و قواعد يُعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مُطابقاً لمقتضى الحال بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له.

موضوعه:

اللفظ العربي، من حيث إفادته المعاني الدّواني التي هي الأغراض المقصودة للمتكلّم، من جعل الكلام مشتملاً على تلك اللّطائف و الخصوصيّات، التي بها يطابق مقتضى الحال. (3)

علم البيان

و هو علم يُعرّف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه و دلالة اللفظ: إمّا على تمام ما وضع له، أو على جزئه، أو على خارج عنه، و تسمّى الأولى وضعيّة، و كلّ من الأخيرتين عقلية. (4)

و بعد أن عرفنا البلاغة بأنواعها الثلاثة أي البيان والمعاني والبديع فكنا بحاجة إلى تعريف فنون "البيان" وهي التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية و نتحدث عن التشبيه وما يتعلق به من أركانه و أقسامه و أغراضه في ضوء القرآن الكريم.

التعريف بالتشبيه**التشبيه لغة:**

الشبه: و الشَّبَّه ؛ و النَّشْبِيْهُ ؛ المِثْلُ، و الجمع أشباه و أشبه الشيء الشيء: مثله... و تقول: أشبه فلان أباه و أنت مثله في الشَّبَّه الشَّبَّه - و تقول: إني أعني شُبَّهة منه، و حروف الشين يقال لها أشباه وكذلك كل شيء يكون سواء فإنها أشباه كقول لبيد في السواري و تشبيهه قوائم الناقة بها:

كعقر الهَجْرِي إذ ابتناة بأشباه حزين على مثال

قال: شبه قوائم ناقته بالأساطين. (5)

شبهة. ماله شبهة و شبهة و شبيهه، و فيه شبهة منه، و قد أشبه أباه و شابهه، و ما أشبهه بأبيه، و في الحديث (اللبن يشبه عليه) و تشابه الشيان و إشتباهه، و شَبَّهته به و شَبَّهته أي اه، و إشتبهت الأمور و تشابهت: التبتت الإشباه بغضها

بعضاً، و في القرآن المحكم و المتشابه، و شبه عليه الأمر، لبس عليه، و أي اك و المشبهات:

الأمر المشكلات، و وقع في الشبهة و الشبهات ، و عنده اواني الشبه و الشبه⁽⁶⁾.

[شبه] الشين و الباء و الهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء و تشاكله لونا و وصفا يقال شبه و شبيه و شبيه، و الشبه من الجواهر، الذي يشبه الذهب و المشبهات من الأمور: المشكلات و إشتبه الأمران إذا أشكلا ومما شذ عن ذلك الشبهان.⁽⁷⁾

شبه الشيء الشيء: ماثله - التشبيه - التمثيل - و (عند علماء البيان): الحاق أمر بأمر أشبه لصفة مشتركة بينهما. كتشبيه الرجل بالاسد في الشجاعة. و (تشبيه المسجونين) أخذ البصمات اللازمة، و كتابه الاوصاف على استيمارة خاصة، لتعديد الشخصية. (مج)

الشبه: المثل (ج) أشباه

(شابهه): أشبهه: (شبه) عليه الأمر: أبهمة عليه حتى إشتبه بغيره و الشيء بالشيء: مثله و اقامه مقامه لصفة مشتركة بينهما.⁽⁸⁾

التشبيه اصطلاحاً:

هو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء في نفسه كالشجاعة في الاسد، و النور في الشمس، و هو تشبيه مفرد.⁽⁹⁾

مكانة التشبيه:

و للتشبيه مكانة في البلاغة و له روعة و جمال و موقع حسن في البلاغة، و ذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، و إدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة و وضوحاً، يكسوها شرفاً و ذُبلاً، فهو فن واسع النطاق، فسيح الخطو مُمتد الحواشي دقيق المجري، غزير الجدوى.⁽¹⁰⁾

و أدواته حروف و أسماء و أفعال، أما الحروف فهي الكاف نحو: كرماد {مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ}. (11)

وكان نحو: {طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ} (12) و الأسماء مثل و شبه و نحوهما مما يشترك من المماثلة و المشابهة و الأفعال نحو: {يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ

ماءٌ}. (13)

أركان التشبيه:

المشبه: هو الأمر الذي يراد الحاقه بغيره.

المشبه به: هو الأمر الذي يلحق به المشبه.

وجه الشبه: هو الوصف المشترك بين الطرفين، و يكون في المشبه به، أقوى منه في المشبه. و قد يذكر وجه الشبه في الكلام، و قد يُحذف كما سيأتي توضيحه.

أداة التشبيه: هي اللفظ الذي يدل على التشبيه، و يربط المُشَبَّه بالمُشَبَّه به و قد تذكر الأداة في التشبيه، و قد تحذف، نحو كان عمر في رعيته كالميزان في العدل. و كان فيهم كالوالد في الرحمة و العطف.⁽¹⁴⁾

تقسيم طرفي التشبيه إلى حسي و عقلي:

طرفا التشبيه: [المشبه، و المشبه به]

أما حسيان: "أي : [مدركان باحدي الحواس الخمس الظاهرة] نحو: أنت كالشمس في الضياء.

و كما في تشبيه الخد بالورد.⁽¹⁵⁾

و أما عقليان، أي مدركان بالعقل، نحو العلم كالحياة، و نحو: الضلال عن الحق كالعمي، و نحو: الجهل كالموت.

و أما المشبه حسي، و المشبه به عقلي:

نحو: طبيب سوء كالموت و أما المشبه عقلي، و المشبه به حسي، نحو، العلم كالنور، و اعلم ان العقلي هو ما عدا الحسي، فيشمل المحقق ذهنًا، كالرأي و الخلق و الحظ، و الامل، و العلم، و الذكاء، و الشجاعة و يشمل أيضا الوهمي، و هو ما لا وجود له، و لا لاجرائه كلها، او بعضها في الخارج، و لو وجد لكان مدركا باحدي الحواس و يشمل الوجداني: و هو ما يدرك بالقوي الباطنة، كالغم، و الفرح، و الشبع، و الجوع، و العطش، والري.⁽¹⁶⁾

تقسيم طرفي التشبيه باعتبار الافراد و التركيب، طرفا التشبيه [المشبه و المشبه به] أما مفردان [مطلقان] نحو: ضوءه كالشمس، و خده كالورد أو "مقيدان" نحو : الساعي بغير طائل كالراكب على الماء. أو [مختلطان] نحو: ثغره كاللؤلؤ المنظوم، و نحو: العين الزرقاء كالسنان. و المشبه هو المقيد. و أما مركبان تركيبا لم يمكن افراد اجزائهما، بحيث يكون المركب هيئة حاصلة من

شيئين، أو من أشياء، تلاصقت حتى اعتبرها المتكلم شيئاً.

أ- التشبيه التمثيل:

يسمى التشبيه تمثيلاً إذا كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، وغير تمثيل إذا لم يكن وجه الشبه كذلك و تشبيه التمثيل نوعان.

الاول: ما كان ظاهر الاداة، نحو {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} ⁽¹⁷⁾ فالمشبه: هم الذين حملوا التورة ولم يعقلوا ما بها: و الشبه به [الحمار] الذي يحمل الكتب النافعة، دون استفادته منها، و الاداة الكاف، و وجه الشبه [الهيئة الحاصلة من التعب في حمل النافع دون فائدة].

الثاني: ما كان خفي الاداة: كقولك للذي يتردد في الشيء بين ان يفعله، ولا يفعله [اراك تقدم رجلاً و تؤخر أخرى] إذا الأصل: اراك في ترددك مثل من يقدم رجلاً مرة، ثم يؤخرها مرة أخرى. ⁽¹⁸⁾

ب- أدوات التشبيه:

هي ألفاظ تدل على المماثلة، كالكاف، وكان و مثل، و شبه، و غيرها، مما يوذي معنى التشبيه، كيحكي، و يضاهي و يضارع، و يماثل، و يساوي، و يشابه، و كذا اسماء فاعلها، فادوات التشبيه، بعضها: اسم، و بعضها فعل، بعضها حرف و هي أما ملفوظة، و أما ملحوظة، نحو فاروق كالبدر، و اخلاقة في الرقة النسيم و نحو: اندفع الجيش اندفاع السيل، أي كاندفاعه، و الاصل في الكاف، مثل، و شبه، من الاسماء المضافة لما بعدها أم يليها المشبه به لفظاً أو تقديرًا و الأصل في كآن، و شابهة، و مائل، و ما يرادفها. ⁽¹⁹⁾

ان يليها المشبه، كقوله:

كان الثريا راحة تُشِيرُ الدجي لتنظر طال الليل ام قد تعرضا

و كان تفيد التشبيه: إذا كان خبرها جامداً، نحو: كان البحر مرآة صافيه و قد تفيد الشك: إذا كان خبرها متشكاً، نحو: كأنك فأهم، و كقوله.

كأنك من كل النفوس مركب فأنت إلى كل النفوس حبيب

و قد يغني عن أداة التشبيه "فعل" يدل على حال التشبيه، و لا يعتبر أداة، فان كان [الفعل اليقين]. افاد قرب المشابهة، لما في فعل اليقين من الدلالة على تيقن الاتحاد و تحققة و هذا يفيد التشبيه مبالغة. نحو: فلما راؤه عارضاً مستقبلاً أو ديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا، و نحو: رأي ت الدنيا سرايا غرارا. وان كان [الفعل للشك] افاد بعدها: لما في فعل الرجحان من الاشعار بعدم التحقيق، و هذا يفيد التشبيه ضعفاً. نحو: [و إذا رأيتهم حسبتهم لولوا منثوراً] و كقوله.

قوم إذا لبسوا الدروع حسبتها سبحا مَزْرَدَةً على اقمار

ونحو: قوله تعالى { وَحُورٌ عِينٌ ، كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ } (20)

و أي ضاً نحو: في قوله تعالى { وَ مِنْ أَيِّ اتِّهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَغْلَامِ } (21)

وكقول الشاعر:

والوجه مثل الصبح مبيض والفرع مثل الليل مسود
ضدان لما استجمعا حسنا والصدّ يظهر حسنة الصدّ (22)

أغراض التشبيه

(1) بيان حاله:

و ذلك حينما يكون المشبه مبهما غير معروف الصفة، ألتى يراد اثباتها له قبل التشبيه، فيفيدة التشبيه الوصف، و يوضّحه المشبه به، نحو شجر النارنج كشجر البرتقال، و كقول الشاعر

إذا اقامت لحاجتها تثنت
كان عظامها من خيزران

[شبه عظامها بالخيزران بيانا لما فيها من اللين].⁽²³⁾

(2) بيان إمكان حاله:

و ذلك حين يسند إليه أمر مستغرب لا تزول غرابته إلا بذكر شبيه له، معروف واضح مُسلّم به، ليشبت في ذهن السامع و يتقرر. كقوله:

و يلاه ان نظرت و ان هي أعرضت
وقع السهام نزعهن أليم

[شبه نظرها: يوقع السهام، وشبه اعراضها بنزعها: بيانا مكان أي لامها بهما جمعياً].

(3) بيان مقدار حاله:

المشبه في القوّة و الضّعف، و ذالك إذا كان المشبه معلوماً، معروف الصفة التي يراد اثباتها له لعرفة إجمالية قبل التشبيه بحيث يراد من ذالك التشبيه بيان مقدار نصيب المشبه من هذه الصفة و ذالك بأن يعتمد المتكلم لأنّ يبين للسامع ما يعنيه من هذا المقدار، كقوله كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحاب لاريت و الاعجل و كتشبيه: الماء بالثج، في شدة البرودة.

و كقوله:

فيها اثنتان و أربعون حلوبة
سوداً كخافيه الغراب الاسعم

شبه النياق السود، بخافية الغراب، بيان المقدار سوادها، فالسواد صفة مشتركة بين الطرفين.⁽²⁴⁾

(4) تقرير حال المشبه:

و تمكينه في ذهن السامع، بابرازها فيما هي فيه أظهر، كما إذا كان ما اسندالي المشبه يحتاج إلى الثبيت و الأيضاح فتأتي بمشبه حسي قريب التصور، يزد معني المشبه أيضاحاً، لما في المشبه به من قوة الظهور و التمام، نحو: هل دولة الحسن الاكدولة الزهر، و هل عمر الصبا الاصلب أوسحر، كقوله:

إن القلوب إذا تنافر وُدّها مثل الزجاجة كسرّها لا يُجبر
شبه تنافر، القلوب، بكسر الزجاجة تثبيتاً لتعذر عودة القلوب إلى ما
كانت عليه من الأُنس والمودة.

(5) بيان امكان وجود المشبه:

بحيث يبدو غريباً يستعبد حدوثه المشبه به يزيل غرابته، و يبين انه
ممکن الحصول، كقوله:

فإن تفق الانام و أنت منهم فان المسك بعض دم الغزال

(6) مدحة و تحسين حالة:

ترغيباً فيه أو تعظيماً له، يتصوره بصورة تَهيج في النفس حسنه و
حبه، فيصور المشبه بصورته، كقوله:

و زادبك الحسن البديع نضارة كانك في وجه الملاحه خال

ونحو:

كأنك شمس و الملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهنّ كوكب⁽²⁵⁾

غرض التشبيه:

الغرض من التشبيه هو اخراج الشيء الخفي في صورة واضحة جليّة أو معني أجلي منه، و المعني الممثل أما أن يكون غريباً بديعاً يُمكن أن يخالف فيه و يدعي امتناعه و استحاله و جوده، فيحتاج في دعوى، كونه على الجملة إلى بينه و حجة و إثبات، مثال ذلك كقول البحرّي:

دنوت تواضعا و علوت مجدا فشأنك انخفاض و ارتفاع
كذاك الشمس تبعدان تسامى و يدنو الضوء منها و الشعاع

وصف البحرّي ممدوحة في البيت الأول بأنه قريب للمحتاجين و في نفس الوقت بعيد المنزل، بينه و بين نظرائه في الكرم بون شاسع، و لكن البحرّي حينما أحس أنه وصف ممدوحة بوصفين متضادينهما القرب و البعد، أراد أن يبين لنا أن ذلك ممكن و أن ليس في الأمر تناقض فشبه ممدوحة بالبدر الذي هو بعيد في السماء، و لكن ضوءه قريب جدا للسائرين بالليل.

نماذج التشبيه من قوله: {كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ}

التشبيه: { كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ }

المشبه: إتمام النعمة على يوسف

المشبه به: إتمامها على إبيه

إداة التشبيه: ك

نوع التشبيه: مرسل مجمل

أي كما أكمل النعمة من قبل ذلك على حبك إبراهيم و جدك إسحاق بالرسالة و الاصطفاء. (26)

عند البيضاوي: "{يُعَلِّمُكَ}" كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كأنه قيل: و هو يعلمك". و قال شيخ زاده في الحاشية على التفسير البيضاوي: "أن يتم نعمته عليه و لم يجعل التعليم مشبهاً باحتبائه للرؤيا الشريفة لفقدان المناسبة الداعية إلى التشبيه إذا هو مانع من حمل الكلام على التشبيه. (27)

و يقول الزمخشري: "و معنى الإتمام النعمة عليهم أنه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة، بأن جعلهم أنبياء في الدنيا و ملوكاً، و نقلهم عنها إلى الدرجات العلا في الجنة. و قيل: أتمها على إبراهيم بالخلة، و الإنجاء من النار، و من ذبح الولد على إسحاق بإنجائه من الذبح، و فدائه بذبح عظيم و بإخراج يعقوب

و الأسباط من صلبه". (28)

قد أكد الصافي على ذلك قائلاً: (29) "فقد شبهن يوسف بالملك من دون ذكر الاداة و المقصود منه اثبات الحسن؛ لأنه تعالى ركب في الطبائع أن لا شيء احسن من الملك، و قد عاين ذلك قوم لوط في ضيف إبراهيم في الملائكة، كما ركب الطبائع ان لا شيء اقبح من الشيطان، و كذلك قوله تعالى في صفة جهنم: {طُلُعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ} (30) فكذا قد تقرر أن لا شيء أحسن من الملك فلما أرادت النسوة وصف يوسف بالحسن شبهنه بالملك".

نماذج التشبيه من قوله تعالى:

{لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} [سورة الرعد: 14]

التشبيه: { كَبَاسِطٍ كَفِّهِ }

البلاغة: التشبيه

نوع التشبيه: التشبيه التمثيلي

المشبه: الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ (الْكُفَّار)

المشبه به: مَنْ يَبْسُطُ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ يَشْرَبُ فَلَا يَصِلُ الْمَاءُ إِلَى فَمِهِ

أداة التشبيه: كاف

"شبهه عدم استجابة الاصنام للداعين لها بعدم استجابة الماء لباسط كفيه إليه من بعد فوجه الشبه منتزع من متعدد". (31)

أي إلا لمن يبسط كفيه للماء من بعيد يدعوه و يناديه ليصل الماء إلى فمه و الماء حماداً لا يحسّ و لا يسمع. (32)

قال أبو مسعود: "شبهه حال المشركين في عدم حصولهم عند دعاء آلهتهم على شيء أصلاً بحال عطشان هائم لا يدري ما يفعل، قد بسط كفيه من بعيد إلى الماء يبغي وصوله إلى فمه و ليس الماء بباليغ فمه أيداً لكونه حماداً لا يشعر بعطشة". (33)

و قد وجه شيخ زاده في الحاشية على التفسير البيضاوي على هذا التمثيل قائلاً: "{إلا استجابة كاستجابة من بسط كفيه} و التشبيه من المركب

التمثيلي، شبه حال الاصنام مع من دعائهم من المشركين و عدم فوز المشركين من دعائهم الأصنام بشيئ من الاستجابة و النفع بحال الماء الواقع لمرأى العطشان الذي يبسط كفيه يطلبه أن يبلغ فاه، و ينفعه من احتراق كبده و وجه التشبيه عدم استطاعة المطلوب. هذه الوجه كما ترى منتزَع من عدّة أمور". (34)

قد بين الزمخشري قائلاً: " {إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَيْهِ} إلا ستجابة فاستجابة باسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه و الماء جماد لا يستعر ببسط كفيه و لا بعطشه و حاجته إليه، شبهوا في قلة جدوي دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما تاشراً اصابعه فلم تلق كفاه منه شيئاً و لم يبلغ طلبته من شربه" (35)

و قد وجه الألوسي هذا التمثيل قائلاً: " و التشبيه على هذا من المركب التمثيلي في الاصل أبرز في معرض التهكم حيث أثبت أنهما استجابتان زيادة في التخير و التحير فالاستثناء مفرغ من أعم عام المصدر كما أشرنا إليه... و على هذا قيل: شبه الدعوان لغير الله تعالى بمن أراد يغرف الماء بيده فبسطهما ناشراً أصابعه في أنهما لا يحصلان على طائل و جعل بعضهم وجه الشبه قلة الجدوي و لعلّه أراد عدمها لكنّه بالغ بذكر القلة و أرادة العدم دلالة على هضم الحق و ايثار الصدق و لاشمام طرف من التهكم". (36)

يضيف الصّافي على ذلك قائلاً: " أي لكونه جماداً لايشعر بعطشه و بسط يديه إليه، حيث شبه آلهتهم حين استقأهم إياهم ما اهمهم بلسان الاضطرار في عدم الشعور فضلاً عن الاستطاعة للاستجابة و بقائهم لذلك في الخسارة بحال ماء لمرأى من عطشان باسط كفيه إليه يناديه عبارة و إشارة فهو ذلك في زيادة الكبار و البوار". (37)

نماذج التشبيه من قوله:

{أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَ مِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَ الْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَ أَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ} [سورة الرعد: 17]

التشبيه: { أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ ... }

البلاغة: التشبيه

نوع التشبيه: التشبيه التمثيلي

المشبه: الحق و الباطل

المشبه به: الماء الصافي ، الزبد و الرغوة

محذوف: أداة التشبيه

"شبه تعالى الحق و الباطل بتشبيه رائع يُسمّى (التشبيه التمثيلي) لأن وجه الشبه فيه منتزَع من متعدد، فمثل الحق بالماء الصافي الذي يستقر في الأرض، و الجوهر الصافي من المعادن الذي به ينتفع العباد، و مثل الباطل بالزبد و الرغوة التي تظهر على وجه الماء، و الخبث من الجوهر الذي يلبث أن بتلاشي و يصمحل. وهو تمثيل في منتهي الروعة و الجمال".⁽³⁸⁾

قال محي الدين شيخ ذاده في الحاشية على التفسير البيضاوي: "يبين الله تعالى مثل الحق و الباطل لأن العرب كانت عاديهم أنهم يثبتون المقصود بالمثل. و قد أنزل الله تعالى القرآن بلغة العرب فأوضح لهم الحق و ميّزه عن الباطل بالمثل كما أوضح المشرك الجاهل بحقيقة العبادة و الموجب لها و ميّزه عن الموحد العالم بذلك بأن مثل الأول بالأعمى و الثاني بالبصير، و بين وجه الشبه بما أثبتته للمشبه به من الذهاب لاطلا مطروحاً و الثبات نافعا مقبولا".⁽³⁹⁾

قد بين الزمخشري هذه الآية قائلاً: "شبه الباطل في سرعة الضمحلالة و شك زواله و انسلافه عن المنفعة بزيد الشيل الذي يرمي به بزيد الفلز الذي يطفو فوجه إذا أذيب".⁽⁴⁰⁾

نماذج التشبيه بنماذج التشبيه من قوله:

{مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ} [سورة إبراهيم: 18]

التشبيه: { أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ }

المشبه: أعمال الكفار

المشبه به: رماد

كاف: أداة التشبيه

نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي

لأن وجه الشبه منتزَع من متعدد.⁽⁴¹⁾

أي " مثل أعمال الكفار التي عملوها في الدنيا يتبعون بها الأجر من صدقة وصلة و رحم و غيرها مثل رمادٍ عصفت به الرِّيح فجعلته هباءً منثوراً".⁽⁴²⁾

قال الزمخشري في توضيح هذه الآية : " {مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ} و المثل مستعارٌ للصفة التي فيها عذابة و قوله { أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ } جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم؟ فقل أعمالهم كرماد... شبهها في حبوطها و ذهابها هباءً منشوراً لبنائها على غير أساس من معرفة الله و الإيمان به و كونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف". (43)

و قد أكد شيخ زاده في حاشية على التفسير البيضاوي "فإن نفس مثلهم هو نفس أعمالهم كرماد في أن كلا منهما لا يفيد شيئاً و لا يبقى له أثر فبقي كالجمله الواقعة خبراً عن ضمير الشأن، و المراد بأعمالهم المشبهة. و من الظاهر المعلوم أنه إذا صح تشبيه كل واحد من القسمين بالرماد الموصوف صح تشبيه كلا القسمين به أيضاً فلا فائدة يعتد بها في التردد. وجه المشابهة بين هذه الاعمال و بين الرماد الموصوف هو أن الريح العاصف يطير الرماد و يفرق اجزائه. فلذلك كفرهم أبطل أعمالهم و أحبطها بحيث لم يبق من تلك الاعمال معهم خبرٌ و لا أثر". (44)

و كذلك قال الصّافي: "حاصل التمثيل تشبه أعمالهم، في حبوطها و ذهابها هباءً منشوراً لا بتعائنها على غير أساس من معرفة الله تعالى و الإيمان به و كونها لوجهه؛ برماد طيرته الريح العاصف و فرقته، فالمشبه مركب و هم الذين كفروا أعمالهم ، والمشبه به الرماد و تفرق أجزاء كما أن الكفر يجبط الأعمال". (45)

نماذج التشبيه من قوله:

{الَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَ فَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ} [سورة إبراهيم: 24]

التشبيه: { مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ }

المشبه: كلمة طيبة

المشبه به: شجرة طيبة

أداة التشبيه: كاف

البلاغة: التشبيه

نوع التشبيه: التشبيه التمثيلي

فقد ذكر تعالى في هذا التشبيه شجرة موصوفة بأربع صفات ثم شبه الكلمة الطيبة بها، الصفة الأولى كوني كونها {طَيِّبَةً} و الثانية: كون {أَصْلُهَا ثَابِتٌ}

و الثالثة: كون {فَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ} و الرابعة: كونها {دَائِمَةُ الثَّمَرِ} و وجه الشبه من تمثيل الإيمان بالشجرة أن الشجرة لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء: عرق اسخ، و أصل قائم و فرع عال، كذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء: تصديق بالقلب و قول باللسان و عمل بالأبدان فوجود الصفات الثلاث في جانب المشبه به حسية، بينما هي في جانب المشبه معنوية. (46)

قد أكد الزمخشري بقوله: "كل كلمة حسنة كالتسبيحة و التحمدة و الاستغفار و التوبة و الدعوة... و اما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار، كالنخلة و شجرة التين و العنب و الرمان و غيره ذلك." (47)

و {كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ} كمثل شجرة جنث و الكلمة الخبيثة كلمة الشرك. أي صفتها يصفها: و قيل كل كلمة قبيحة، و إما الشجرة الخبيثة، فكل شجرة لا يطيّب ثمرها كشجرة الحنظل و الكشوث و نحو ذلك. (48)

و يضيف على ذلك شيخ زاده محي الدين في الحاشية على التفسير البيضاوي قائلاً: "و أعلم أن كون الشجرة يكون بكونها طيبة الصورة و المنظر و بكونها طيبة الرائحة، و بكونها طيبة الظل و الثمرة بأن يكون ظلّها كثيفاً قوياً". (49)

نماذج التشبيه من قوله:

{وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ} [سورة إبراهيم: 26]

التشبيه: { خَبِيثَةٌ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ }

كلمة خبيثة: المشبه

شجرة خبيثة: المشبه به

أداة التشبيه: كاف

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل

"أي و مثل كلمة الكفر الخبيثة كشجرة الحنظل الخبيثة". (50)

يقول البيضاوي: "كمثل شجرة {خبيثة اجْتُثَّتْ} استؤصلت و أخذت جنتها بالكلية". (51)

قد أكد الصافي بقوله: " أيضاً في تشبيه الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة غير الثابتة كأنّها اجْتُثَّتْ أو كأنّها ملقاة على وجه الأرض، فلا تغوص

الى الأرض بل عروقتها في وجه الأرض و لا غصون لها تمتد صعوداً الى السماء ، و هذا معنى قوله { ما لها اجتثت } " (52)

نماذج التشبيه من قوله:

{مُهْطِعِينَ مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً} [سورة إبراهيم: 43]

التشبيه: { أَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً }

المشبه: قُلُوبُهُمْ / أَفْنَدْتُهُمْ

المشبه به: الهَوَاءُ

محدوف: أداة التشبيه و وجه الشبه

البلاغة: التشبيه

نوع التشبيه: تشبيه البليغ

أي "قلوبهم كالهواء لفراغها من جميع الأشياء" (53)، قلوبهم خالية من العقل لشدة الفزع. حذف منه أداة التشبيه و وجه الشبه أي قلوبهم كالهواء لفراغتها من جميع الأشياء فاصبح التشبيه بليغاً. (54)

قد بيّن الألوسي على ذلك قائلاً: "أي حالية من العقل و الفهم لفرط الحيرة والدهشة و منه قيل للجان، و الأحمق: قلبة هواء أي لا قوة و لا رأي فيه. و من ذلك قول حسان: "

الأبلى أباسفیان عني فأنت مجوف تخب هواء (55)

و يضيف النسفي على ذلك قائلاً: "صفر في الخير لاتعى شيئاً من الخوف و الهواء الخلاء الذي لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل: قلب فلان هواء إذا كان جباناً لا قوة في قلبه و لا جراءة و قيل: جوف لا عقول لهم. (56)

هوامش البحث

- أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة بهاء الدين زكريا ملتان
- ++ باحثة الدكتوراه بقسم اللغة العربية و آدابها، جامعة بهاء الدين زكريا ملتان
1. أحمد الهاشمي، السيد: جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ص: 50، السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر (ت: ٦٢٦هـ)، كتاب مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت: 652.
 2. الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح - في المعاني والبيان والبديع محمد بن عبد الرحمن بن عمر، دار الكتب العلمية في بيروت 1983: 24.
 3. جواهر البلاغة: 48، 49.
 4. تلخيص المفتاح: 218، 219.
 5. ابن منظور: ابن منظور الأفريقي المتوفى 711 هـ: لسان العرب: 23/7-24.
 6. أساس البلاغة: 228-229.
 7. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، 2004م: 243/3.
 8. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية، استنبول، تركيا، بت: 390/1.
 9. الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت: 812هـ): كتاب التعريفات، ط: 1، المطبعة الخيرية المنشأة الجمالية، مصر، 1306هـ، ص: 58.
 10. الطيبي، شرف الدين حسين بن محمد (ت: 743هـ): التبيان في المعاني و البديع و البيان، تحقيق و تقديم، د. هادي عطيه مطر الهلالي، عالم الكتب ، بيروت، ص: 180، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ): الاتقان في علوم القرآن: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: 2، منشورات، 142، الجرجاني، عبد القاهر (ت: 471هـ): أسرار البلاغة تعليق محمد رشيد رضا، ناشر دار المعرفة، ط: ٢، امير قم، 1404هـ، ص: 175، جواهر البلاغة: 247.
 11. القرآن الكريم، إبراهيم: 18.

12. القرآن الكريم، الصافات: 65
13. القرآن الكريم، النور: 39
14. جواهر البلاغة: 257، مختصر المعافي: 315.
15. جواهر البلاغة: 209.257، التبيان: 184-186، تلخيص المفتاح: 226-227.
16. جواهر البلاغة: 209.208، التبيان: 184-186، تلخيص المفتاح: 226-227.
17. القرآن الكريم، الجمعة: 4
18. تلخيص المفتاح: 250، 251.
19. التبيان: 212، تلخيص المفتاح: 242، التفتازاني، العلامة المسعود بن عمر المدعو بسعد التفتازاني " مختصر المعاني " قام بتصحيحه رضا لطفي _ محمد علي محمدي 1954م / 1374هـ مطبعة التوحيد : 339.
20. القرآن الكريم، الرحمن: 22-23.
21. القرآن الكريم، الرحمن: 24.
22. جواهر البلاغة: 278-279.
23. جواهر البلاغة: 281-282.
24. علي الجارم و مصطفى أمين: البلاغة الواضحة، ط: 12 دار المعارف مصر، 1957م، ص: 54
25. جواهر البلاغة: 482، 483.
26. الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، الطبعة الثالثة، دار القرآن الكريم، بيروت، 1981م/ 1402هـ: 37/2.
27. شيخ زاده، محمد بن مصطفى القوجوي، الحنفي (مصلح الدين) (ت 951هـ): حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، دار الكتب العلمية – بيروت: 9/5.
28. الزمخشري، أبو الزمخشري: محمود بن عمرو بن أحمد المتوفى 538هـ الكشاف، دار الكتب العلمية، بيروت: 445/2.

29. الدرويش ، محي الدين بن أحمد مصطفى: إعراب القرآن الكريم وبيانه: دار ابن كثير - دمشق - بيروت) الطبعة: الرابعة، 1415 هـ: 418/6.
30. القرآن الكريم: الصافات: 65.
31. صفوة التفاسير: 72/2.
32. المصدر نفسه: 71/2.
33. أبو السعود: محمد بن محمد العمادي المتوفى 951 هـ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي ، بيروت: 102/3.
34. حاشية الشيخ زاده على التفسير البيضاوي: 111/5.
35. الزمخشري، أبو الزمخشري: محمود بن عمرو بن أحمد المتوفى 538 هـ: أساس البلاغة تحقيق: الأستاذ عبد الرحيم محمود، ص: 537.
36. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، مطبة المنيرية، القاهرة. روح المعاني: 123/7 ، 124.
37. إعراب القرآن، 174/7.
38. صفوة التفاسير: 78/2.
39. حاشية الشيخ زاده على التفسير البيضاوي: 116/5.
40. التفسير الكشاف: 538.
41. صفوة التفاسير: 91/2.
42. المصدر نفسه: 87/2.
43. التفسير الكشاف: 548.
44. حاشية الشيخ زاده على التفسير البيضاوي، 154/5.
45. إعراب القرآن، 174/.
46. صفوة التفاسير: 91/2.

47. التفسير الكشاف: 551.
48. التفسير الكشاف: 552.
49. حاشية الشيخ زاده على التفسير البيضاوي، 162/5.
50. صفوة التفاسير: 96/2.
51. البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر (ت: ٧٩١هـ) أنوار التنزيل و أسرار التأويل، ط: 2، مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1388هـ. تفسير البيضاوي: 530/1.
52. إعراب القرآن: 186/7.
53. صفوة التفاسير: 94/2.
54. روح المعاني: 247/7.
55. حسان بن ثابت الأنصاري، ديوان حسان، دار الكتب العلمية بيرزت 1994: 20.
56. النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود: مدارك التنزيل وحقا ئق التأويل (التفسير النسفي) دار الكتب العلمية، بيروت: 265/2.